

الدرس الرابع

دليل الانتقان

الدليل الخامس: دليل الإتيان

الإتيان لغة: - مصدر مشتق من الفعل أتقن الشيء يتقنه إتقاناً إذا أحكمه^(١) وأتى به على وجه الكمال .

وجه دلالة: - أن الإتيان وصف ينعكس على المصنوع يحمل دلالة على علم الصانع ومعرفته الدقيقة بما يصنع، مما يحيل اعتقاد أن يكون هذا الشيء قد حدث بمفرده دون صانع، فإن القول في مجموعة من العصي ملقاة في الأرض بصورة عشوائية مثلاً ليس كالقول في مجموعة أخرى في حالة من التشابك والترابط المحكم فإن العقل يمنع أن تكون هذه الأخيرة قد جاءت بلا فاعل أو بفعل فاعل غير متصف بالعلم والمعرفة والحكمة والقدرة. ومثل ذلك يقال في عالم الصناعة البشرية في شتى جوانبها في عالم البرّ والبحر والجوّ، ولدلالة الإتيان في الكون على وجود الله تعالى نتبع الظواهر التالية:

الظاهرة الأولى: - التطابق

التطابق قائم بين عالم الفلك وعالم الذرة، فعالم الذرة يشتمل على فضاء ذرى فيه الكترونات وبروتون، تدور الإلكترونات حول البروتون الذي هو مركز الذرة بسرعة هائلة قدرت بحسب العنصر الذي يشتمل على هذه الذرة بمليارات الدورات في الثانية الواحدة، وهي تدور بعكس عقارب الساعة حول نفسها وحول محورها^(٢).

وعالم الفلك الذي هو فضاء السماء الأولى التي تحيط به إحاطة الكرة بما فيها من هواء، يشتمل على أجرام فلكية لا تحصى تنقسم إلى مجموعات فلكية مختلفة تدور كل مجموعة منها حول نفسها وحول مركز المجموعة التي هي تابعة لها، فينشأ عن هذا الدوران قوة الجذب والتماسك في عالم الفلك، كما ينشأ نظيره في عالم الذرة^(٣).

(١) انظر ترتيب القاموس المحيط ج ١ ص ٣٧٣ مادة: تقن.

(٢) الله جل جلاله سعيد حوى ص ١٠٦ ظاهرة الوحدة.

(٣) نفس المصدر.

إن التطابق بين نظام عالم الذرة وهي متناهية في الصغر مع نظام عالم الفلك وهو متناه في الكبر للدليل واضح على صفة الإتقان والإحكام في الصنعة مما يدل بصورة قطعية على وجود خالق لهذا الكون.

الظاهرة الثانية المجموعة الشمسية

الكلام في المجموعة الشمسية من حيث إن النظام فيها عبارة عن شمس وهي نجم يرسل بأشعته وحرارته إلى ما يرتبط به من الكواكب والنجوم.

وقد قدرت النجوم المرتبطة بمجموعتنا الشمسية بأكثر من ثلاثين ألف نجمة^(١)، وأما الكواكب المرتبطة بالشمس فهي تسعة كواكب: عطارد، الزهرة، الأرض، المريخ، المشتري، زحل، أورانوس، نبتون وبلوتو^(٢). وجميع هذه النجوم والكواكب تدور حول نفسها وحول الشمس التي هي مركزها في المجموعة الشمسية، وتتفاوت سرعة هذه الكواكب والنجوم كما تتفاوت أحجامها وأبعادها، فالأرض تقطع خمسة وستين ألف ميل في الساعة الواحدة أثناء دورانها حول الشمس^(٣)، فتقطع في السنة الواحدة مائة وتسعين مليون ميل، بينما يقطع أبعد الكواكب التسعة عن الشمس (بلوتو) في دورته حول الشمس سبعة آلاف وخمسمائة مليون ميل في الدورة الواحدة^(٤).

وينشأ عن دورة الكواكب والنجوم في المجموعة الشمسية بسرعاتها المختلفة وأبعادها المتفاوتة عن الشمس ظاهرة الحياة على ظهر هذه الأرض التي نعيش عليها، بحيث لو اختلفت هذه السرعات أو تلك الأبعاد عما هي عليه لاختل نظام الحياة في عالم النبات وعالم الحيوان وعالم الإنسان وعالم الجملاد أيضاً على ظهر هذه الأرض، مما يدل دلالة قاطعة على وجود قوة موصوفة بالحكمة والعلم والخبرة تهيمن على هذا الكون في جميع أجزائه.

(١) الإسلام يتحدى ص ٥٧.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ح ٧ ص ٤٩٠ مادة مالك.

(٣) دائرة معارف القرن العشرين ح ٧ ص ٤٩٨ مادة (فلك). قصة الإيمان ص ٣٢٢.

(٤) الإسلام يتحدى ص ٥٧ وص ٥٨.

الظاهرة الثالثة: الكرة الأرضية

الأرض واحد من الأجرام الفلكية التي يتكون منها عالم الفلك، يحيط بها غلاف غازي تبلغ سماكته خمسمائة ميل ويتركب من ستة أنواع من الغازات هي: أراجون، نيون، كربتون، كنسيون، أكسجين، ونيوتروجين، وهي بنسب مختلفة ومتفاوتة، الأكسجين ٢١ ٪، والنتروجين ٧٨ ٪، ثم الواحد في المائة الباقي موزع على باقي الغازات الأربع الأخرى^(١).

وبوجود هذا الغلاف الغازي بهذه النسبة أصبح له دور بالغ في تحقيق الحياة على ظهر هذه الأرض:

أولاً: - يحفظ الأرض من أن تصل إليها الأشعة الشمسية القاتلة (فوق البنفسجية) ويوصل أنواعاً من الأشعة إلى الأرض لتوفير أسباب الحياة على ظهرها للحيوان والإنسان والنبات، ويمتص البعض الآخر لتوفير بدائل عما يستهلكه الغلاف الغازي^(٢) منها.

ثانياً: - يحفظ الأرض من الشهب والنيازك المحيطة بالأرض والتي تدور حولها بسرعات هائلة وتتساقط باتجاهها، تبلغ سرعة النيزك أربعين ميلاً في الثانية الواحدة^(٣)، فتحول هذه السرعة دون سقوط هذه النيازك على الأرض وتنزل بعيداً عنها بسبب وجود الغلاف الغازي حولها^(٤). بل إن بعض هذه النيازك التي هي شديدة الحرارة لتنفجر فور ملامستها للغلاف الغازي الذي هو شديد البرودة وتتحول إلى غبار في الفضاء الخارجي.

ثالثاً: - الغلاف الغازي وسيلة للاتصالات وللمواصلات، فلولاها لما أمكن التخاطب بين الناس لأنه هو الذي ينقل الذبذبات الصوتية من مصادرها إلى غاياتها.

(١) انظر: العلم يدعو للإيمان ص ٦٩. الفصل الثالث: الغازات التي تنسّمها. الإسلام يتحدّى ص ٦٦ قانون الضغط والتوازن في الباب الرابع. دائرة معارف القرن العشرين ح ٧ ص ٤٩٩ مادة: مَلَك.

(٢) انظر: العلم يدعو للإيمان ص ٦٦ الفصل الثاني: الهواء والمحيط. الإسلام يتحدّى ص ٦٦ التوازن المدهش. الإنسان بين العلم والدين ص ١٠٥: الأرض في القرآن الكريم.

(٣) الإسلام يتحدّى ص ٦٥ التوازن المدهش. والتي يليها.

(٤) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن محمد السيد أرناؤوط ص ٢١٥.

ووجود الغلاف الغازي على هذا النحو مرتهن ببعد الأرض عن الشمس بمقدار ثلاثة وتسعين مليون ميل، فلو اقتربت الأرض من الشمس أو ابتعدت لأدى ذلك إلى نشوء اختلال كبير في الغلاف الغازي تفسد معه إمكانية الحياة على ظهر هذه الأرض للنبات والإنسان والحيوان^(١).

الظاهرة الرابعة: القشرة الأرضية

القشرة الأرضية تتركب من مائة وثلاثة عناصر^(٢). أهم هذه العناصر هي: الأكسجين ٤٧٪، السليكون ٢٨٪، الألومنيوم ٧,٨٪، الحديد ٤,٤٪، الكالسيوم ٣,٤٪، البوتاسيوم ٢,٥٪، والصوديوم ٢,٤٪، والماغنسيوم ٢,٤٪، وتبلغ نسبة هذه العناصر في القشرة الأرضية ثمانية وتسعون في المائة، وتتنوع نسبة الاثنين في المائة على سائر العناصر وهي خمسة وتسعون عنصراً، ثم هذه العناصر تتوزع النسبة المئوية فيها بنسب مختلفة ينشأ عنها تماسك هذه القشرة الأرضية^(٣).

تبلغ سماكة القشرة الأرضية خمسون كيلومتراً^(٤)، وتشتمل على مياه بنسبة تسعة وسبعين في المائة، ويابسة بنسبة واحد وعشرين في المائة^(٥). وتعتمد الحياة في اليابسة على الماء الذي يصل إليها بواسطة المطر.

اليابسة تحتوي على تضاريس مختلفة تتراوح بين جبال ووديان وسهول ينشأ عن ذلك عامل التوازن في الأرض أثناء حركتها المحورية حول نفسها والدائرية حول الشمس التي ينشأ عنها الليل والنهار ليكون عنصر حياة وتجديد للطاقة النباتية والحيوانية والبشرية^(٦).

(١) انظر: الإسلام يتحدى ص ٦٢ التوازن المدهش.

(٢) الإعجاز العلمي في القرآن أحمد الأرناؤوط ص ٢٣٤.

(٣) انظر: الأرض من تحتنا ص ١٠١.

(٤) انظر: بهجة المعرفة ح ٣ ص ٢٦٤ الأرض. وقد قيل: إن نسبة القشرة الأرضية إلى حجم الأرض كقشرة التفاح إلى محتواها.

(٥) الإنسان بين العلم والدين ص ١٠٧ الأرض في القرآن الكريم.

(٦) انظر: الإسلام يتحدى ص ٦٣ التوازن المدهش في الأرض.

الظاهرة الخامسة: الوحدات على ظهر الأرض

تتكون هذه الوحدات من أربعة عناصر: - الجماد - النبات - الحيوان - الإنسان.

أشرف هذه العناصر هو الإنسان قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَلَدِ وَالْيَحَرِّ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (١).

وقد سخر الله عز وجل لهذا الإنسان في هذه الأرض كل ما يمكنه من القيام بدور الخلافة فيها: قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٢)، والتي من مهماتها عمارة هذه الأرض قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (٣)، على أن يكون ذلك من خلال شرع الله تعالى وأحكامه قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٤).

وفي الجسم البشري من عجائب القدرة والإتقان ما لا يمكن حصره والوقوف عليه لأنه معجز في ذاته، لكننا سوف نتحدث عن واحد من مظاهر الإتقان في الجسم البشري وهو الجهاز الهضمي الذي يقوم بعملية استخلاص لما يتهدم أو يستهلك من الخلايا فيه لتستمر فيه الحياة حتى يستوفي أجله المكتوب في علم الله تعالى.

فالجسم البشري يستهلك في الثانية الواحدة مائة وخمسة وعشرين مليون خلية، أي ما يعادل سبعة آلاف وخمسمائة مليون خلية في الدقيقة الواحدة (٥) وهكذا تستمر عمليات الهدم والاستخلاص في الجسم البشري طيلة الفترة الزمنية التي أعطاها الله تعالى له. وحتى تتم عملية الاستخلاص فإنه لا بد من وجود

(١) الإسراء آية ٧٠.

(٢) البقرة آية ٣٠.

(٣) هود آية ٦١.

(٤) الذاريات آية ٥٦.

(٥) انظر: الطب محراب الإيمان ص ٤٠.

مواد من ذات العناصر التي تتكون منها الخلية المستهلكة، وذلك أن الخلية عبارة عن كيس متناه في الصغر لا يرى بالعين المجردة بداخله سائل يسمى السيتوبلازم يتكون من ستة عناصر وهي: - أملاح، بروتينات، دهنيات، نشويات، فيتامينات، وماء^(١).

وبتفاعل هذه المواد تتم عملية توفير الطاقة الحياتية للجسم البشري، وعناصر الخلية موجودة في النبات وفي الحيوان الذي يتم الحصول عليه على هيئة غذاء بواسطة الطهي (الطبخ).

حيث بتناول اللقمة من الغذاء تبدأ عملية الهضم عبر الفم وما فيه من الأسنان القاطعة والأضراس الطاحنة واللسان الذي يقلب اللقمة التي تمتزج باللعاب في الفم، ثم يقذف اللسان بها إلى مجرى الطعام في القصبة الهوائية لتصل إلى المعدة التي تقوم بإفراز مادة هاضمة حمضية تحول هذا الغذاء إلى عناصره الأساسية التي تتكون منها الخلية، يساعدها في ذلك جهاز البنكرياس والمرارة التي تفرز المزيد من تلك المواد الهاضمة، حتى إذا ما وصل الغذاء إلى الأمعاء الدقيقة أفرزت عليه مزيداً من المواد الهاضمة لهضم ما استعصى على المعدة منه، ثم تمتصه وتحوله إلى مادة لبنية تدفع به إلى القلب الذي يقوم بضخ هذه المواد على هيئة دم أحمر اللون عبر شبكة الشرايين التي توصل هذه المواد إلى جميع أجزاء البدن لتتم عملية استخلاص ما تهدم من تلك الخلايا كي تستمر الحياة في البدن حتى الأجل المحتوم^(٢).

إن هذه العملية الدقيقة والمحكمة ذات الارتباط الشامل بالكون من حول هذا الإنسان لتدل دلالة قاطعة على وجود خالق قوى قدير عليم حكيم، أوجد هذا الكون بما فيه وبمن فيه، قال الشاعر: -
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

(١) انظر: توحيد الخالق ح ٢ ص ٣٥. الإعجاز العلمي في القرآن ص ٢٤٧.
(٢) انظر: توحيد الخالق ح ١ ص ٤٤ وص ٥١. العلم يدعو للإيمان. كريسي موريسون ص ١٥٣. الطب محراب الإيمان ص ١٤٤.

وقد استدلل الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى^(١) على ظاهرة الإتيان في مناظرته لجمع من الفلاسفة الملحدين^(٢) وذلك حين طلبوه للمناظرة فتأخر عن الوصول في الموعد المحدد، وحين سألوه عن سبب ذلك، أجاب: بأنه لم يجد مركباً يعبر به النهر للوصول إليهم من الضفة الأخرى، فانتظر طويلاً ثم لم يلبث أن رأى شجرة على شاطئ النهر وقد انشقت ألواحاً وانشد بعضها إلى بعض فتكون منها مركب، فأنزله إلى الماء وعبر به إليهم، فلما استنكروا ذلك عليه، قال: كيف تريدون أن أسلم لكم بأن هذا الكون وما فيه من مظاهر الإتيان والإبداع وجد بدون موجد وأنتم لا تسلمون بوجود مركب بدون موجد؟ فانقطعوا عن المناظرة وأسلموا^(٣).

(١) كان أبو حنيفة رحمه الله تعالى مشهوراً بقوة في المناظرة، حتى قال فيه الإمام مالك: رأيت رجلاً لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته. أه أي لو ادعى أنها ذهب لاستطاع أن يثبت ذلك بقوة منطقته وقاهر حجته. انظر الأعلام للزركلي ج ٨ ص ٣٦ توفي رحمه الله تعالى سنة ١٥٠ هـ الموافق ٧٦٧ م.

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٥.

(٣) أورد هذه القصة أيضاً عبد الرحمن حنكة في العقيدة الإسلامية وأسسها ص ١٤٢.